دور المرأة في التعبئة النفسية ورفع الروح المعنوية للمجاهدين في ليبيا 1911 – 1943

عبدالحميد محمد احميد عطية

قسم التاريخ-كلية التربية -جامعة الزيتونة

تاريخ الاستلام 2024/03/20

المقدمة:

لقد مار ست المرأة الليبية دورها في التعبئة النف سية للمجاهدين على اكمل وجه ضد الغزو الإيطالي لليبيا أكتوبر 1911 الذي جاء بحجة تحرير الليبيين من ظلم العثمانيين وبمجرد ان و صل نبأ العدوان إلى م سامع الآهالي هب الجميع رجالً واطفالاً و شيوخاً وذ ساءاً حيث هبت المرآة الليبية إلى ميادين القتال من مختلف الأ صقاع إلى جانب الرجال لتت صدى لرحلة الح ضارة الإيطالية المزعومة ولم ترض كغيرها من الليبيين ان تتحول أرا ضيهم إلى ارض إيطالية ، وأن ي صبحوا أخوة لع ساكر روما، ولم يتخلوا عن جنود الحاميات العثمانية بل تعاونوا معهم لقتال العدو.

وم نذ المواج هات الأولى في طبرق و درنة وبنغازي والخمس وطرابلس س فه الليبيون أحلام وتصورات القادة السياسيين والعسكرين الطليان وتحولت النزهة البحرية المزعومة إلى حرب مدمرة دامت نحو ربع قرن من الزمن .. وتحول حملة الح ضارة الإيطالية إلى سفاحين وقتلة باعتراف اشقائهم الأوربيين ولم يستقبلهم الليبيون استقبال الفاتحين ويتحولون إلى أخوة لهم بل هبوا إلى ميادين القتال ، وخاضوا ضدهم حرب ضروس استمرت من اكتوبر 1911، وحتى يناير 1932 م .

وخلال تلك الفترة لم يمر يوم أو تخلو منطقة من وقوع معركة أو ا شتباك، وارتكبت قوات الاحتلال جرائم بـ شعة تق شعر منها الأبدان في محاولة منها لد سيطرة على الأرض والق ضاء على الهوية العربية والدين الاسلامي للسكان ، سقط خلال تلك الحقبة حوالى ثلاث أرباع المليون ليبي شهيد أضافة إلى اعداد أخرى من الجرحى والمفقودين والمنفيين ولم يفرق عساكر روما بين الرجل والمرأة والطفل والـ شيخ الهرم ... وكان اعدام شيخ المجاهدين عمر المختار يوم 16 سبتمبر 1931 من أكثر المشاهد المأساوية .

ولقد شاركت المرأة الليبية الرجل(أباً ، واخ وزوجاً، وابناء) ملحمة القتال ضد الغزاة الإيطاليين وتعر ضت لما تعرض له الرجل من جرائم بـ شعه وقد سجلت لنا المـ صادر ملاحم بطوليه قامت بها النـ سوة خلال تلك الحقبة الا ستعمارية فهي ام واخت وزوجة ، ومقاتلة حيث حملت الـ سلاح وواجهت العدو وتقوم بمهام الا ستطلاع وجمع المعلومات عن العدو وتتبرع بحليها لـ شراء الـ سلاح وتق ضي أغلب الليل خلف الرحى لطحن الحبوب وذلك لتموين المجاهدين وخلف الأنوال لن سج الملابس للمجاهدين .. وكانت من مهامها الاساسية رفع الروح المعنوية للمقاتلين.

بما تقوم به من تـ شجيع و شحد همم المجاهدين من خلال القـ صائد الـ شعرية التي جادت بها قريحتها والتي سجلها الموروث الشعبي (الروايات الشفوية)

أو ما سجلة الصحافيون العرب والأجانب وما دونه الضباط العثمانيون وهذا ما ستناوله في بحثنا الموسوم (دور المرأة في التعبئة النفسية ورفع الروح المعنوية للمجاهدين في ليبيا 1911-1943)

أن التـ شجيع المعنوي يحقق في نفوس المجاهدين ما تحققه الـ شحنات الكهربائية التي يـ شحن بها قلب المصاب بمرض القلب، فهي تعطى قلب المصاب حيوية فيندفع الدم إلى العروق.

و تلك تمد المجاهدين بقوة فيندفعون نحو العدو ..

ولقد كان للتشجيع الذي تلقاه المجاهدون من نساءهم في أتون المعركة الدور الحاسم والفعال في استمرارية الصمود وعدم التراجع ، فالمجاهد عندما يشاهد ويسمع المرأة في ميدان القتال تزغرد وتقول : الجهاد يا رسول الله لا بعد اليوم موت ترتفع روحه المعنوية ويستمر صموده في قتال العدو وبكل قوة ، وكثيراً ما يقوم العدو بإسكات هذا الصوت الذي يدفع المجاهدين إلى الأمام فقد كانت هناك امرأة تدعى (غالية) شاركت في معركة الهاني شارع الشط 23 أكتوبر 1911، كانت تردد تلك العبارة فصوب - الإيطاليون نحوها رصاصة أردتها شهيدة (موسوعة روايات الجهاد ، 6 ، 1991 ، ص114 ، بشير محمد ، 1999 ، ص52)

فالمرأة بأسلوبها عرفت كيف تجعل من الجبان شجاعاً فهي من هنا تعتبر ذات قيمة روحية ومعنوية قد تسمو بما عن الرجل بما لها من تأثير نفسي ومعنوي على أولئك الرجال الذين يخوضون معارك الشرف والكرامة ، تشد أزرهم ، فعندما بدأت القوات الإيطالية في مباشرة الغزو واخذا الرجال أسلحتهم زغردت النسوة واهزجت الأغاني الحماسية وخرجت وراء الرجال يشحذون الهم مما زاد في حماسة الرجال فاندفعوا كالسيل الجارف إلى ميادين الوغى (دقالي ، مجلة الشهيد ، 1990 ، ص 342-348 ، موسوعة روايات الجهاد ، 11 ، 1990 ، ص42، 51، 90، 112 ، 145، 200 ، موسوعة روايات الجهاد ، جزء خاص بالمرأة ، 1995 ، ص206 ، 209 ، 267 ، 316 ، 327)

وما أن تذكر الحروب والبطولات والأبطال فيها حتى يبرز ذكر المرأة ودورها في تلك الحرب تجسد وجودها تترفع هامتها تودع حذرها فتكون بين الصفوف فارسة من الفرسان ، وبين الخطباء والمحرضين والداعيين للحرب داعية ومحرضة وخطيبة تزيد في اندفاع المندفعين وتثير حماس ونخوة ورجولة المتباطئين ، كما تقف في مؤخرة القوات ترد الفارين من ميادين القتال ، وفي الغالب تكون مضحية بأغلى ما تملك في الحياة وهم فلذات كبدها ملقيه بهم في أتون المعارك في

عينها دمعه وفي قلبها جرح وعلى شفتيهما أجا ابت سامة الفرح لا ستثمار أبنائها و سلامة الدين والوطن (بشير محمد ، 1999 ، ص85)

فقد قالت والدة محمد سعدون الـ سويحلي عندما جاءها الناعي مبلغا أيام ا ست شهاده (آباك ما خاف ، أباك ما ذل) ، فقال لها الناعي : آمنين جاء منهلب من على ظهر الحـ صان كادلو منقطع من جديد أرشاه ، فزغردت الأم ... وحمدت الله على ا ست شهاده بطلاً (أبو شارب، والديك ،1983 ، ص 14) .

ورف ضت المرأة الليبية خلال فترة الغزو الإيطالي لوطنها. 1911- 1943 م، الجبناء من أبنائه باعتبار الجبن صفة من صفات العار التي تلحق بمن يت صف بها حتى بعد موته ويـ شار بالبنان إلى قبره وكم من جبان باع دينه ووطنه بثمن زهيد فكانت لا تقترن بالجبناء وكان الجبان لا يحظى بامرأة يقترن بها طيلة حياته، وإذا قدر له أن يعود لأهله فأول ما يتلقاه قطع طرف جرده أو و ضع علامة سوداء على ثيابه ، حتى أذا دق طبل النداء في معركة أخرى وحاول التباطؤ تندفع زوجته أو قريبته لحمل بندقيته، وقد أ صرت على الذهاب إلى المعركة بهدف شحن غيرته مما يدفعه إلى المعركة وقد قرر أحد أمرين أما الن صر أو الا ست شهاد وقد لا يعود بعدها اطلاقاً. (بـ شير محمد ، 1999 ، ص88 -89)

فكان على كل رجل تأخر عن الم شاركة في المعركة أو حاول أن يتباطأ في الخروج أن يغادر قريته وموطن أهله وإلى الابد و سيبقى عار الذل يلاحق أهله وع شيرته جيلا بعد آخر فهن كن يتغنن بالـ شجعان ويتمنين الاقتران بهم، أما الجبناء فلا مكان لهم عندهن وقد ساهمت المرأة في الجانب المعنوي بالعمل على ا ستنهاض همم الرجال وإذ كاء نار الحمية والغيرة فيهم لمقاتلة عدوهم

والمحافظة على شرفها الذي هو شرفهم، وكن يرثن الذين يسقطون في الميدان شهداء (مدلل ، 1984 ، ص 25 ، ريمون ، 1972، ص105) .

لقد هددت النساء الرجال الذين يحاولون التخلف والمراوغة بقبح الكلام وبالهجر إذا ما تقاعس عن منازلة العدو، وهذا من أكبر السبان واللعنات للرجال أن يقال عنه أنه جبن أو يشاع بأنه هرب من ميدان المعركة أو بقاء في الخطوط الخلفية، وفي القرى والارياف تقوم بعض النساء بالتجوال بين الضارب والبيوت ومن يجدونه يعزر ، فالتعبئة تبدا بمراعاة الرجال والنساء لقبح الاحدوثة التي تلازم صاحبها طيلة حياته وحتى بعد مماته ، فالنساء يؤججن حماس الرجال بالأهازيج والقصائد بعد أن يجتمعن فوق التلال يشاهدن جموع المجاهدين يمرون بهن ، أو عندما يتحلقن حول الرحى (دقالي ، 1990 ، ص352).

لقد جسدت المرأة الليبية دورها في رفع الروح المعنوية للمقاتلين في أجمل صورة فكانت الدافع لأخيها وزوجها إلى ساحة القتال وميدان الشرف، وكانت الزوجة الوفية لزوجها الشهيد، إذ تقوم بتربية أبنائه ورعايتهم الرعاية التي تليق بأبيهم البطل والأخت التي تحن على المقاتلين في أرض المعركة والبلسم الشافي الذي يداوي جراح المجروحين ولم تترك معركة الا وشاركت فيها وأبلت فيها البلاء الحسن وكان لها الدور البارز والفعال آثاره الحماس والشد من عزائم المجاهدين والتخفيف من الأمهم وأسقاء عطشاهم وذلك من أجل أن يقوم الرجل بواجب الجهاد الحق في وجه العدو وأن يحافظوا على تراب وطنهم طاهراً من دنس الاستعمار وعلى الشرف مصان من أن يغتصبه باغ ، وعبر عن ذلك شاب تركي فقال : أن النساء المسنات يوُججن حماس رجالهن بالأهازيج وأناشيد الوغى والقصائد وإذا ما استشهد الزوج فإن زوجته ترمى بنفسها عليه وكشف

ثيابها ضاحكة ضحكا مرعباً وتحل شعرها ثم تنطلق باتجاه العدو وهي تغنى وهذا ما يثبر الحماس فينا ويدفعنا إلى قتال العدو (محمد بشير ، 1999 ، ص85، 86)

ان المرأة كانت دافعاً و محركاً لرفع الروح المعنوية للمجاهدين فكثيراً ما كان المجاهدون يهبون إلى ساحة المعركة ويـ ستبـ سلون مقاتلة العدو دفاعاً وخا صة عندما تقع في الا سر حيث تذكر الروايات أنه عندما تمكن الايطاليون أثناء معركة وادي الرملة التي جرت وقائعها من أ سر فاطمة العقورية شاعرة المجاهدين - تلك المرأة المجاهدة التي لم تبخل على بلادها بأية ومضة من ومضات عقلها أو أي جهد مادى ومعنوي - أخذ المجاهدون يهاجمون الإيطاليين بـ ضراوة حتى ا ضطروهم للاذ سحاب فلاحقهم المجاهدون وا شتد القتال بين الطرفين فنّقلت المجاهدة الـ شاعرة : فاطمة العقورية إلى غراتسياني فطلب أن تعيد عليه ما قالته فكان من ضمن ما اعادته :

انت يا جارة :. جاك النوم :. انسيتي عدادين اللوم .

فقال لها اغرا سياني سأ شنقك عقاباً لك على هذه الجرأة ، فأخذت تر سل الزغاريد فقال لها غرا سياني في دهـ شة كيف تزغردين وأ نت مقبلة على الموت ؟ فأ جا بت وهل هناك اعظم من الاستشهاد في نفس اليوم الذي استشهد فيه عمر المختار فتركها وانصرف .

وقد أشادت فاطمه العقورية بتضحيات رفاقها في سبيل انقاذها من الأسر فقالت :

يا حبان عيوني وما ذسيوني نين قصروا على قول ا سقوني (موسوعة روايات الجهاد ، جزء خاص بالمرآة ، 1995 ، ص205، 207)

وبرز دور المرأة في التعبئة النف سية ورفع معنويات المقاتلين فكانت تقوم بتحريض رجال القبيلة على الخروج للجهاد من أجل ك سب الفخر وتـ شجيعهم بالزغاريد وأثارة حما سهم بالقـ صائد الشعرية وعندما كان بعض الرجال يتراجعون هاربين أمام زحف الإيطالية

تعيب الن ساء عليهم ذلك وت ستهزئين بهم وقد هو حذرت احدهن الأخريات من الارتباط بالجبان الذى يولى يوم الزحف لأنه لا يستطيع أن يدافع عنها وقد ورد هذا التحذير في أبيات من الشعر :

لا تكبكي ولا تذلي ❁❁❁ ولا تأخذي بوسكابة

خوذي ولد ما يولي ❁❁❁ سوق البلاء ما يهابه

فيُنبذ المتقاعس من الجميع حتى اطفا له وزوجته، وكانت الفتيات ترفض الزواج منه حيث يرغبن في الزواج من رجل شجاع قادر على الدفاع عنهن في حالة التعرض للخطر.

وما أن شاع ذكر هذه الأبيات بين الهاربين والمتقاعسين حتى تراجعوا وسارعوا للالتحاق بميادين القتال. (مدلل ، 1984 ، ص26 ، والنجار ، العدد 26 ، 27 ، 2005 ، 2006 ، ص 98)

ومن الشواهد التاريخية التي تناقلتها وسائل الأعلام في تلك الفترة وقامت بنشرها ثلاث صحف وهى أن أحد الشباب تقاعس عن الخروج والمشاركة في مقاتلة الايطاليين بعد أن خرج أخويه بحجة أنه لا يوجد عائل لوالدية الكبيرين ، لكن أمه أجابته أن هذا ليس بعذر لان ابنة خالك التي يمتلكك هواها وأنساك واجب الوطن والقبيلة ، وأن الرجل الذي يقعده الحب عن الدفاع عن شرف عائلته وقبيلته ليس برجل ، فلما سمعت مخطوبته هذا الحوار اندفعت خارج البيت وقالت له أننا تعاهدنا على الاقتران على سنة الله ورسوله ولكني الآن أرفض الزواج بك حتى لا يقول الناس أنني تزوجت من نذل وأقعده الهوى عن خوض المعارك ، واشهدوا أيها الناس أنني لا أقبله زوجاً مالم يقدم لي مهراً عشرة من رؤوس الطليان ، أن هذا النص الذي تناقلته وسائل الاعلام في ذلك الوقت أن دل على شيء انما يدل على صدق نضال المرأة، وبذلك تجاوزت بفعلها هذا ساحة الوطن وبدأت كعلم يتصدر الصحافة الأوروبية والعربية التي تصدر في بلدان العالم (دقالي ، 1990 ، ص351) .

وغالباً ما كانت المرأة دافعاً للرجال إلى أتون المعارك ولعبت دوراً في التعبئة النف سية للمجاهدين فاندفعوا يقاتلون الاعداء بكل شجاعة ، ففي سنة 1923 م ، هاجمت القوات الإيطالية نواجع المغاربة ونهبت كثيراً من الحيوانات والبيوت وحلي الن ساء. من بينهن حلي ال ساكره ابليغة ، وعقب ذلك هاجم المجاهدون قافلة من ال سيارات الإيطالية فأحرقوها وا ستولوا على المعدات و تخليداً لهذه المعركة قال احد الشعراء قصيدة طويلة تورد منها :

وخذت أسوار الساكرة من يديها: حرقنا كراهب واجدات عليها ، بمعنى أن سلب أسوار **الساكرة** من أيديها جعل المجاهدين يهاجمون القوات الإيطالية ويدمرون مجموعة منها (الحنديرى ، مجلة الشهيد ، 1991 ، 1992 ، ص 165)

وتؤكد المصادر أن النسوة يقدرن البسالة حق التقدير ويحبن الشجاعة في الرجل ولم يكن يهتمن بالشكل أو الجمال فقد روى احد الاطباء أنه أتى إلينا رجل كسرت قذيفة فكه الأسفل تماما فاردنا تعوي ضه بأجر لكنه قبل العملية أبى إلا أن يزور خطيبته ، ولما عاد سأله البعض هل لازالت مخطوبتك تميل إليك فأجابهم أنها وجدتني على أجمل وجه وخلقه مما كنت عليه قبل وان الفتيات الأخريات في غيرة شديدة منها (دقالي ، 1990 ، ص351)

ويقول أحد المجاهدين كانت هناك امرأة تـ سمى أغزيل الـ سماري تركب الحـ صان وتطلق الزغاريد أثناء حدوث المعركة ، وكانت تركض على الحـ صان و سط المجاهدين وهى بدون سلاح وتطلق الزغاريد وعبارات التشجيع لإثارة حماس الرجال(موسوعة روايات الجهاد 23 ، الجزء الثاني ، 1990 ، ص87، 93).

شعر المرأة ودوره في التعبئة المعنوية .

لقد ساهمت المرأة بما صدحت به حناجرها من أغاني وشعر في الفخر و الهجاء والرثاء و الوصف في التوثيق والتاريخ لحركة الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي حيث حفظت لنا الذاكرة الشعبية العديد من القصائد والأبيات التي أرخت الكثير من الاحداث وصار الشعر الشعبي مصدر من المصادر التي لا غنى عنها لمن يريد دراسة تلك المرحلة .

نورد بعض الأبيات

فهذه احدى النساء تتغنى بالشجعان الذين خاضوا المعارك ضد العدو الغازي ويصفهم بالاستعداد الدائم للمجازفة والتضحية للمحافظة على العرض والوطن فتقول :

مستأنسة بدقره مدهونه ❁❁❁ وفيه عاشمة كان النصارى جونا

مستأنسة بمشطها ❁❁❁ وحين ما شبحهم بالركاب شلطها

وقاجى على قاريين الخونة

(موسوعة روايات الجهاد ، 38 ، 2002 ، ص51).

وقالت مريم محمود بوبكر البرعصي في رثاء للشهداء .

حيه على لقصى والدوني ❁❁❁ عدادين ملام عيوني

يا بدقرهم يا قرع للى عاشرهم ❁❁❁ ماودي ينجاب خبرهم.

في كبدى ناشوني ❁❁❁ بالنار كووني

وأثناء معركة وادى المحجة 25 سبتمبر 1925 قالت تفتخر بأهلها :

هلنا لا صار نهار ❁❁❁ قداعين القوم سكارة .

يا ظرابين الطلياني ❁❁❁ والطير يشير بالشارة

(موسوع روايات الجهاد ، 38 ، 2002 ، ص81)

أما عند اعدام شيخ الشهداء المجاهدين عمر المختار فقالت فاطمة العقورية

هذه الابيات كرثا للشهيد تعدد فيها خصاله ومزاياه والخسائر التي الحقها بالعدو الإيطالي

هابة يا راعي بوقره ❁❁❁ ياقوع القوم المنهرة

هابة يا راعي المجمم ❁❁❁ ياشايبهم بالمتمم

ىا حامل الطرباني ❁❁❁ ياعزوتنا في الأوطانِ

يا ما هبوا من طابور ❁❁❁ امسوع ومعاه الماجور

كم طابور مشي فالقيس ❁❁❁ امسوع وامعاه مهاريس

(قصائد الجهاد ، 34 ، 1995 ، ص318).

وعندما اشاع البعض أن سالم بن عبد النبي قد صار متعاونا مع الايطاليين وانه سيتقاضى راتبا عسكريا منهم فردت ابنته عناية التي كانت متأكدة من اخلاص أبيها في قضية وطنه فقالت قصيدة طويلة كان مطلعها :

كان بوى طلين للمعاش وجابه ❁❁❁ انظهر عقاب الطبل للندابة

انظهر عقاب الشنة ❁❁❁ في فم حوشه نعملوله رنة

اللى طلينوا من قبل ما هم منا ❁❁❁ وسيل عادهم في خمرهم شرابه

انا بوي كان يأخذ نصيحة مني ❁❁❁ عدو دينا مانقبلوش جوابه

(قصائد الجهاد ، 34 ، 1995 ، ص206).

اما فاطمه عثمان فقد اشتهرت بقصيدتها (خرابين يا وطن) التي قالتها أثر اعدام سلطات الاحتلال الايطالي تسعة عشر مواطنا من هون في 15 نوفمبر 1928، بعد معركة قارة عافية ،

وقد تميزت القصيدة بقوة الاحساس الذي انفجر تأثراً بهذه الواقعة المشينة ولم يعرف عن فاطمة انها قالت شعرا عدا هذا

خرابين يا وطن مافيك والى ❁❁❁ وذيلك جوالى ❁❁❁ و لخرين في المشنقة والقتالي

خرابين يا وطن ما فيك هل ❁❁❁ ركبك الذل ❁❁❁ اللى ماجلا في المشانق حصل.

عدوا ولا زول منهم وصل ❁❁❁ وباتوا مدالي ❁❁❁ مثل العراجين في رأس عالي

خرابين يا وطن ما فيك دايل ❁❁❁ يحد الشغايل ❁❁❁ وناسك غدو من كلام السبايل

يا دمع لنظار تدرف وسايل ❁❁❁ على زول غالي ❁❁❁ وعده حضر في رقاق الحبالي

وعده حضر في امقاط البحر ❁❁❁ في يوم زر ❁❁❁ دولة العدوان هم الكفر

صبرت يا خاطري ما صبر ❁❁❁ زايد هبالي ❁❁❁ نا بعدهم يا عرب ما طرالى.

(ديوان الشعر الشعبي، المجلد الثاني ، 1993 ، ص259 – 262).

هذا ولا يتسع المقال لذكر المزيد فهناك العديد من القصائد في رفع الروح المعنوية لدى المجاهدين، فقد حولت الأغاني والأهازيج والقصائد التي رددتها النسوة على مسامع المجاهدين الى سيل عارم أزاح كل ما كان يعرقله، والى نار حارقة التهمت الأخضر واليابس في قوات العدو ، ولا قيمة للحياة عندهم شعارهم أحدى الحسنيين النصر أو الاستشهاد والمجاهد عندما يشاهد المرأة في ميادين القتال تزغرد وتحمل الطعام والماء وتعالج الجرحى والمصابين ترتفع روحه المعنوية ويندفع إلى ساحة الوغى وهو يردد.

احنا وطنا ما نخلوه للروم عوج الناوي: وعلى الله منهم نفكوه بزناد في الزيت راوي

(محمد بشير ، 1999 ، ص41 ، 52).

مذكرات الضباط العثمانيين :

و نورد هنا مذكرات أنور با شا. باعتباره أحد ال ضباط الذين شاركوا في معارك الغزو الأولى فقادوا العساكر العثمانيين - والمجاهدين في مواجهة الغزاة الإيطاليين بالجبهة الشرقية من ليبيا حيث نقل لنا صورة صادقة عن مشاهدته فقال : انه عندما وصل إلى زاوية قارة(20 كم غرب درنه) يوم 23 نوفمبر 1911 قد هرعت الن ساء لا ستقبالنا بالزغاريد والتهليل تعبيراً عن الفرحة بمقدمنا لدى مرورنا هناك وكتب من بئر الجبل جميعاً كما كانوا م صحوبين بامرأتين من قبيلتهم لتقوما بإعداد الطعام وغ سل الثياب وتنظيف البنادق، وكانت أولئك الن سوة يرافقنهم إلى ميدان المعركة لأثارة حما سهم وحمل جرحاهم وتـ ضميد جراحهم كما كن يرثن الذين سقطوا في ساحات القتال ..

ومن عين بو منصور في الثامن عشر من ديسمبر اشار إلى أنه كان بين جرحانا سيدة عربية تعد من الأبطال ، إذ انها قد أ صيبت بـ شظية في صدرها ورغم هذا فقد رف ضت البقاء بالم ست شفى وغادرته لكي تشارك في إذكاء حماس المحاربين ..

أما يوم 13 يناير 1912 م فأ شار إلى أن الفتيات كن يمجدن في أغاني من الأعمال البطولية لشهيد وقع في ميدان المعركة .

وفي 27 يناير 1912م أفاد بو صول ثلاثة الآف من محاربي قبيلة البراعـ صة وكم كان ذلك المشهد مؤثراً بحق فقد تقدم ركب المقاتلين عدد من النسوة العربيات. بالأغاني الحماسية الشجية ، وأعقبتهن من زوجات الشيوخ والحسناوات من الفتيات من شتى القبائل

على ظهور الجمال . وكتب يوم 18 سبتمبر 1912 م ، قائلاً : أننى أدون ملاحظتي في هذه الاونه بينما صراخ النساء وعويلهن ، الرتيب وهن ينعين أولئك الذين سقطوا في ميدان المعركة يتناهى إلى مسامعي .

وقال في 21 سبتمبر 1912 م ، ينقسم الجيش إلى مجموعات تشمل كل مجموعة عشرة جنود برئاسة ضباط صف وتصحب كل مجموعة امرأة تحمل على ظهرها قربة ماء وكيساً من الخبز على كتفها، وكالعادة فان هؤلاء النسوة يقمن بتشجيع الرجال (مذكرات آنور باشا في طرابلس الغرب ، 1979 ، ص56، 58، 61 ، 64 ، 65 ، 90، 91)

هذا ما حاولت اقتطافه من مذكرات أنور با شا عن دور المرأة في رفع الروح المعنوية للمقاتلين وشحذ هممهم لمواجهة ذلك المعتدي يضاف إلى ذلك مشاركتهم الفعلية في مقاتلة الغزاة بحمل السلاح أو نقل الماء واسعاف الجرحى والمصابين.

الصحافة التونسية :

لقد ساهمت الـ صحافة التونـ سية في التأريخ لحركة الجماد الليبي ونورد هنا مقتطفات مما سجلته عن دور المرأة . فكتبت صحيفة الزهرة التونـ سية في عددها الـ صادر يوم 21 جانفي يناير 1912 تقول :

وراء صفوف العربان تسير نساهم . وهن يشجعن الرجال بأناشيد حماسية ويزغردن إذا خرج من المجاهدين جريح، ويسرعن إلى مواساته بقدر الامكان، يحملن الماء ليقدمنه لمن يظمأ من الفرسان، ومن الغريب أنهن يفعلن ما يفعلنه في ميدان القتال بدون وجل ولا خوف من مقذوفات المدافع، أو طلقات البنادق او صليل الـ سيوف والحناجر ومن عادات هؤلاء النـ سوة أنه لو جبن أحد الازواج عن

النزال (وهذا نادر) فان زوجته تطرده طرداً من بيتها ، وتقول له لا أقبل مضاجعتك حتى تلحق با خوتك في ميدان الحرب وتاتي. بدمك أو برأس احد جنود العدو، ولن ساء العرب في باب الحما سة أحوال ي ضيق عن شرحها هذا المجال ، و نقلا عن جريدة الأهرام الم صرية عن مرا سلهما محمد صالح الشواشي . بمعسكر طبرق وتحت عنوان(معسكر طبرق في 20 ديسمبر، 1911)

ن شرت جريدة الزهرة في عددها الص ادر بتاريخ 31 جانفي (يناير) 1912 ما ن صه فزعنا ونحن رقود لدق الطبول، فأخبرتنا النـ ساء بانهن سمعن ا صوات المدافع والبنادق، ومعلن ذلك ا ستنفار للمجاهدين لنجدة أخوتهم .. ترى الناس تهرول ما بين راجل وراكب حاملين الـ سلاح، ضاحكين مـ ستبشرين ، والنـ سوة منا ورائهم م يولون ، ويقارعنهم بالكلام المر والقارص أن هم قـ صروا في قتال الأعداء وسمعت واحدة منهن تقول من لم يقاتل الطليان فيلبس لبا سنا، وي شتغل شغلنا ، ب شعر البداوة فيركـ ضوا إلى حيث يجدون أخوتهم ، ولم يكادوا ي صلون حتى انحـ سم الامر وفي عددها الصادر بتاريخ 22 اوت (أغسطس) 1912 م ، نقلت صحيفة الزهرة عن جريدة النيل المصرية. أن النـ ساء انف سهن اللاتي . لا ي ستطيعن النزول إلى ميدان القتال ين شطن بأنا شيدهن الحما سية عزائم الأبن ، واحيانا الآب اللذين يذهبان لاكتساب الفخر وذلك لان النساء العربيات لا تمزحن بخ صوص الشجاعة ، وقد حدث يوما ببنغازي أن بعض من الرجال تترددوا في الهجوم على لواء من المـ شاة الطليان، فنادتهم امرأة إلى الثأر بنغمات ن شيدها الحربي الذي كانت فيه تـ شنع بالرجال الذين يفرون من ساحة القتال.

وفي درنه دعي أحد أطباء الهلال الأحمر إلى واجهة المعركة أثناء القتال وكان يلزم للذهاب إلى تلك الجبهة عبور مرتفع كانت المدافع الايطالية تمطر عليه القنابل كالوابل فركض الطبيب عند المرور به، ومن الجائز أن يكون فعل ذلك أما لعبوره بأكثر سرعه أو الو صول إلى المكان الذي

دعي له في أقرب وقت ممكن ، لكن امرأة عربية رأته على تلك الحالة فنادته، ولما التفت اليها متعجباً قليلاً قالت له باستهزاء (أنك تجرى جرياً حسناً جداً أيها الشاب) (محمد صالح ، 1982 ، ص102 ، 165 ، 428 ،429) .

الصحافة والمراسلين الأجانب :

لقد مارست المرأة دورها في التعبئة النفسية للمجاهدين بشكل واضح منذ بداية الغزو الإيطالي لليبيا أكتوبر 1911م) حيث هبت للوقوف في وجه هذا الاعتداء الغاشم إلى جانب ابيها وأخيها وزوجها و ابنائها، وهولاء أغلى ما تملك أن تدفع بهم إلى ساحات القتال تشد أزرهم وتقوى عزمهم وبذلك تساهم في قتال المعتدى، فكانت تشارك في المعركة محاربة ومحرضة ومناديه بأعلى صوتها وقد تناقل مراسلو الصحف ذلك وأشادوا بإعجاب وتقدير كبيرين بشجاعة المرأة ودورها في تعبئة واذكاء الروح المعنوية للمجاهدين واثارة حماسهم ولعل من بين أولئك المراسلين جورج ريمون الذي زار ليبيا خلال عام 1912م وتنقل بين مختلف المناطق والتقى جماعات المجاهدين و سجل انطباعاته عما شاهده وقد نقلت عنه الكثير من الصادر الأخرى وقال : صحب فرحات بي إلى خيمتي مرة امرأة من قبيلة النوائل تدعى سليمة بنت مقوس لكى التقط لها صورة فوتوغرافية، وقد أستمرت هذه المرأة باشتراكها في جميع المعارك التي جرت مع الايطاليين عند طرابلس قد اصابتها في صدرها أحدى الرصاصات فنقلت إلى قبيلتها لعلاجها ولقضاء أسبوعين للنقاهة هناك، وها هي قد عادت بعد شفائها لتأخذ مكانها من جديد بين الصفوف وقد أعجب (بول تريستان) مراسل جريدة المرسيلي الصغير الصادرة بمدينة مارسيليا بهذه المرأة وشجاعتها فأهداها

سيفاً وقد التقطت لها صورة تشهر هذا السيف في الهواء بينما كانت تترنم با حدى أهازيج الحرب(جورج ، ريمون ، 1972 ، ص118 ، 120)

وكان لبعض النساء موقف مشرق في معركة قصر الناظورة التي جرت وقائعها يوم 22 ديسمبر 1911 ، بطبرق عندما قلت عزائم بعض الرجال وبدأوا في التراجع أمام زحف القوات الإيطالية على أثر أصابه شيخ قبيلتهم فقامت النسوة بدورهم في تعبئة القبيلة وشحذهم وحثهم على القتال والثبات في وجه المعتدى وقد نقل **جورج ريمون** هذا الموقف و سجل أ صدائه على المجاهدين بكل تقدير و احترام و اعجاب بالمرأة الليبية (جورج ريمون ، 1972 ، ص353 ، ح سين نصيب ، 1996 ، ص54) ويشير **جورج ريمون** في أول أبريل 1912 م إلى أنه عند أواخر الليل حوالي الـ ساعة الثانية صباحاً أخذت أسمع ا صداء دقات طبل الجهاد وهو يدوى منادياً لحمل الـ سلاح ثم سمعت أول الطلقات النارية هاجم المجاهدون مـ صطفين و سط الـ سهل على أرض مبلطة بالحـ صى والـ صخور ، و شاهدت النـ سوة و سطهم محجبات وقد ارتدين ثياباً زرقا ويـ ضربن الطبول وتـ صدح حناجرهن. بأهازيج الحرب، تلك هي مو سيقى فيالق المجاهدين البرقاوية. التي لا تعلو عليها في نظرهم موسيقى .

إن النـ ساء كن يفتخرن برجال القبيلة ومـ ساهمتهم في مقاومة العدو الغازي، وينقل لنا جورج ريمون صورة من ذلك التفاخر عندما كان يتجول صحبة عزيز علي المـ صري بين النجوع وفي مضارب (فرع سد يدى) من قبيلة زويه فتناهى إلى مسامعه غناء متناوب بين امرأتين، بحيث كانت الأولى تغنى مقطعاً فنرد عليها الأخرى بمقطع ثاني، وأخذ عزيز يترجم له كلمات الأغنية التي كانت تدور حول معركة الزريريعية التي جرت وقائعها في 18 يناير 1912 شرق مدينة بنغازى

قبل منطقة اللثامة، والمرأة الثانية تنتمي إلى قبيلة المغاربة، وكلتاهما كانت تفاخر با ستب سال رجال قبيلتها في تلك المعركة ضد الإيطاليين، محاولة أن تـ صفي عليهم من شيم الرجولة وخصال الاستقبال اكثر من الاخرى .

ويضيف ذلك المراسل قائلاً : أشار عزيز المصري إلى احدى المرأتين قائلا : لقد أشتهرت هذه المرأة في معركة الزريريعية حيث طلت واقفة بينما المعركة مـ ستمرة مع الإيطاليين تحث المجاهدين ، بين صفوفهم ، بأهازيجها الـ شعيبة التي كانت تذكر فيهم حماس القتال، وقد عر ضت بذلك نفسها في ساحة المعركة لرصاص العدو حتى تلقت رصاصة جرحتها جرحاً بليغاً (حسين نصيب ، ص241، 292، 293)

لم يكن القـ صد من هذا التفاخر التكبر أو التعـ صب القبلي بل الغرض منه رفع الروح المعنوية للمقاتلين حتى لا يتقاعـ سوا في الدفاع عن وطنهم وحتى لا يوجد جبان او متخاذل في قبيلتهن وهذا كن يفتخرن بشجاعة رجال القبيلة ويتمين ان يكون اعدادهم متزايدة وكن يتولن الشعر في ذلك :

ياريت خوتي ثلاثين ❁❁❁ واولاد عمي بزايد

لا يا كلوا لقمة الدين ❁❁❁ ولا يلبسوا جرد بايد.

(النجار ، 2005،2006 ، ص100).

ويـ ستطرد جورج ريمون في حديثة عن النـ ساء ودورهن في مقاتلة العدو والتـ صدي له بكل شجاعة وأقدام فيقول : ان الكثيرات منهن يقاتلن معهم (الرجال) في حين تنطلق أخريات بنقل الماء لسقى الرجال على خط النار الأول أو نقل الـ شهداء خارج ميدان المعركة ويتخلفن حول جثتهم الظاهرة يندين ويصرخن أو يصلن عليهم صلاة الغائب.

وأثناء تواجده في معسكر عين بومنصور يوم 28 أبريل 1912 ذكر جورج ريمون أن الفرسان أخذوا يثبتون السروج على ظهور جيادهم ، واخذت النسوة يصدحن بالزغاريد. طول الحرب ... وأنه عند كل صف من صفوف هؤلاء الجند أخذت النساء المحجبات يرددن أغانيهن وأهازيجهن ويضرب الطبول التي كانت تحمل كل طبل منها امرأتان في حيث تقوم ثالثة بينها بطرقها في إيقاع ..(جورج ريمون ، 1972 ، ص1963 ، 311 ، 316).

الخاتمة

أن النساء كن عنصراً فاعلاً وبارزاً نشطا في دعم المجهود الحربي على مختلف الأصعدة فكانت موضع احترام وتقدير من الجميع فشاركن الرجل فرحة النصر و نكبة الهزيمة بكل صبر وثبات ..

- هناك نساء كثر شاركن في معارك الجهاد ضد الغزو الايطالي ولعبن ادوار بطولية مميزة في رفع الروح المعنوية للمجاهدين ولم تذكرهن المصادر التاريخية.
- لعبت المرأة دوراً بارزاً في دفع الرجال وحثهم على القتال المعتدين فكن يسخرن من المتقاعسين الجبناء ولا يقبلن عذراً لتخلفهم عن الخروج لساحات الوغى ..
- لم يقتصر دور المرأة على العمل في الجبهة الداخلية فقط بل تعدى ذلك فخرجت إلى ساحة المعركة تداوي الجرحى وتدفن الشهداء وفي بعض الأحيان حملت السلاح وشاركت الرجل في القتال بأرض المعركة.
- تجمع الروايات الشفوية التي تحتويها المكتبة الصوتية بالمركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية وغيرها على أهمية الدور الذي لعبته المرأة باعتبارها قاعدة من قواعد أمداد المجاهدين أو ما يعرف حديثاً في الاصطلاح العسكري بالقاعدة الادارية الخلفية والتوجيه المعنوي. .

- لم تكن المرأة تغفر للر جل ا لذي يولي يوم الزحف وتتـ خذ مـ نه مواقف كثيرة مـ ثل الاستهزاء والهجر وكانت تفتخر باشتراك والدها أو زوجها أو أبنائها أو أحد أفراد أسرتها وقبيلتها في معارك الجهاد، وتمجد بطولا ته ومواقفه في ساحات الوغى بالقـ صائد الشعرية. .
- هناك أ صداء وا سعة لـ ساهمة المرأة في كثير من قـ صائد الـ شعر الـ شعبي واغاني الرحى والامثال الـ شعبية وفيما دونه الكثير من الـ ضباط العثمانيين في يومياتهم أ ضافة إلى ما ذ شرته الـ صحف العربية والاجنبية من خلال مرا سليها ممن كانوا يمدون صحفهم بتفا صيل سير المعارك الحربية وملاحظاتهم عما يـ شاهدونه من احداث ووقائع شارك فيها. الليبيون رجالاً ونساء جنبا إلى جنب وعلى حد سواء .

قائمة المراجع والمصادر

1. ابو شارب . محمد على ، الديك محمود ، البطل سعدون السويحلى ، من معارك الجهاد في المنطقة الوسطى ، 1923 1928 ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي طرابلس، 1983 .
2. الجابري . محمد صالح ، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية ج 2 (1912 - 1932) الدار العربية للكتاب (طرابلس ، تونس 1982)
3. الحنديرى، سعيد عبد الرحمن ، المرأة في حركة الجهاد الليبي 1911-1912، مجلة الشهيد ،العددان 12 ، 13 ، 1991 -1992
4. دقالى . محمد عبد النبي ، دور المرأة العربية الليبية في حرب التحرير الوطنية ضد الغزو الايطالي، مجلة الشهيد العدد 11 ، 1990

5. ديوان الشعر الشعبي . المجلد الثاني، أعداد علي سليمان الساحلي ، سالم حسين ، (جامعة قاريونس بنغازي) ، 1993.

6. رمضان . بشير محمد ، القيادة والامداد في حركة الجهاد ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، 1999.

7. ريمون . جورج ، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، نقله عن الفرنسية وحققه وقدم له ، محمد عبد الكريم الوافي، مكتبة الفرجاني طرابلس ، 1972 .

8. قصائد الجهاد . أعداد خليفة محمد الدويني واخرون ، سلسلة الروايات الشفوية 34، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1995 .

9. المالكي . حسين نصيب ، صور من الجهاد الليبي في طبرق ، مطابع الثورة العربية ، 1996.

10. مدلل . احمد عطية، ومضات عن دور المرأة الليبية في حركة المقاومة الشعبية، اكتوبر 1911 ديسمبر 1912 ، مجلة الشهيد ، العدد 5 ، 1984

11. مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب . تقديم وترجمة عبد المولى صالح الحرير، مراجعة حبيب وداعة الحسناوى، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، طرابلس ، 1979

12. موسوعة روايات الجهاد . (6) أعداد : خليفة محمد الدويبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1991 .

13. موسوعة روايات الجهاد (11) ، اعداد : عبد الرحمن عمر البريكي ، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1995

14. موسوعة روايات الجهاد (23) ج 2 ، اعداد : يوسف سالم البرغثي ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1990

15. موسوعة روايات الجهاد (37) عدد خاص، المرأة الليبية في الجهاد ، اعداد: زينب محمد زهرى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية الطرابلس، 1995.

16. موسوعة روايات الجهاد 38 (قصائد الجهاد)، اعداد وتحقيق : مصدق فتحى الشعاب ، عبد الرحمن عمر البريكي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2002 .

17. النجار. نجاح عبد القادر ، المرأة والمقاومة الليبية ضد الغزو والاستعمار الإيطالي مجلة الشهيد ، العدد 26-27، 2005 -2006 .